غابة الحليب والفحم (1)

كل هذا الليل
كل تلك المقابر التي تملأ الهواء
ديوان المراثي

طرق ضالة

السماء بمرمرها الأثيم
الأرض برائحة كفلها
النجوم بحدقة عينيها المخفوقتينِ بالرمادِ
والشوكْ
العشب بانتمائه المرنّ للندى
اليقظة بأحلامها العذبة
السلام كفكرةٍ منبثقةْ
النهار باستطراداتهِ المهلكةْ
الليل بأغنياتهِ المخضبة بالدمْ
الطرق اللامعة للعتمة
الحروف بحدسها المشع
اللغة بانصياعها المطلق للكلمة
الكلمة بانصهارها الفوضوي
في العالم
لكل ذلك
كان يتعين على الليل أن يكتب بملعقته الكبيرة
أنا قنصاص نهائي لاسمك
أيها الجسد المضلّلُ !!

أجاممنون!!

أنا لا أطلب اعترافًا من أحد ولا حتى غفرانًا لأي شيء
اليد التي تعمل مع الآخرين
هي نفس اليد التي تعمل ضد الآخرين
يتساقط الكل في الزمن
وما الليل والنهار
إلا شرك منصوب يضاف إلى كل تلك الأشراك

التي تعترض سبيلنا في الحياة
سلام الروح الضالة
سلام الأرض العميانة!!
ليس هناك من معرفة أكيدة
يمكن أن يضمها الزمن
إلى تلك المعرفة التي للموت
يد تنسج الثوب
وأخرى تمزقه
ورقة تسقط
وأخرى تنبت مكانها
الزمن حصّاد وأعمى
لا يأبه إلا لآلته الميكانيكية التي تعملُ !!

علم الروم

حقًا
هل كان الرومان هنا بالفعل ؟
وهل جاء الإسكندر
بفيالقه الجرّارةِ
كي يصطاد من الأبيض لؤلؤةً للفاتنةِ
المصريةِ
كليوباترا؟!
كيف انفتح البحران على بعضهما
كليوباترا
والمتوسط؟!

سماء مطروح

تهبط الأيدي الإلهية وببطءٍ
على سماء مطروح

لتلمس شعرها الذي يشبه حدقة البحر
عجيبة!!
علم الروم
الأبيّض
شاطئ روميل
ليس ثمة ما يشغل الروح
سوى قوقعة الروح
المتوسط ينهض فاردًا ذراعيهِ
ومحتضنًا صخرةَ العشاقِ
إلى أن يصل إلى شاطئ الغرامِ
مما يذكّرك
بليلى مراد
وهي تسحب المتوسط خلف ركبتيها
وتلتقط بشفتيها الفيروزيتين
أغنيةً
دامعةً
لساكني مطروح !!

جبل الموتى

إلى روح الكاهن بات – حوت
نحو 400 ق.م

هنا
حيث يلتقى الآب بالابن
والسماء بالأرض
وتقف الروح شامخةً وعلى قيد ذراعٍ
من الأبديةِ
هنا ..

وفوق جبل الموتى
حيث يقعد السيد مع ملائكتهِ
وشياطينه
بين معادنه الثمينةِ
وأساطيرهِ
بين سنديااناته الهائلةِ
ومطارقهِ الجمّةِ
على طاولةٍ من خشب وحناناتْ
تستطيع أن تلمس النجوم بشفتيكَ
ويمكنك – كذلك – أن تسهرَ حتى
مع الكاهن بات – حوت
وكافة الأنبياء والمقدسين
في غرفة الدفن هذه !!
ولا يمكن لكل تلك السماءِ الواطئةِ
إلا أن تنزل على سلالم الروحِ
الخربة
خطوة
خطوة
لتجلس على ركبتيك
وتنامَ في حجرك الذي يمتلئ بالعتمةِ
والشكِّ
وبلا ضغينة واحدةٍ
تتجوّل بحريةٍ وأبّهةٍ بين إصبعين
من أصابعك الخمس
بينما تواصل أحلامها اللازوردية بثباتٍ
كما يمكنك وفي الآن نفسه
أن تمدّد رجليك في الفضاءِ الغويطِ
ولا تعود تعبأ بالزمانِ
والمكان

لأنه لم يكن للشمس من ليل آخر لتقيمَ فيهِ
– وعبر كل هاتيك السنوات –
سوى المؤاخاةِ
والضحك
ومع ذلك
تظل الأرض عريانَّة
في حانة العبث
هذه
هنا
وهنا فقط .. !!
وفوق جيل الموتى
يمكنك أن تكلم الله وبلا واسطةٍ من أحدٍ
وذلك عبر شبكاته الضوئيةِ
وخيوط الماء التي تنهمرْ
مثل قبلةٍ
كثيفةٍ
من الدمع
والهواء المشبعِ
باليقظةِ !!

كلام

هكذا تقول أختي الشجرةْ
الضوء!
كلام لا يفقهه سوى الندى
هكذا تقول سيدتي الغيمة!
المطرْ
دموع السماء التي تتساقط على العشب
والعشبْ

كلمات الأرضِ
التي تبكي لوحدها
هكذا يقول الموت الحطّابْ !
بمناجلي هذه
سوف أحصد رقبةَ الهواء
وأجزّ ضحكةَ الأرضِ
الرنّانةِ !!

أفيون!!

سوف نواصل الحياة بنفس التعب واليأسْ
اللذين ربيناهما صغاراً تحت أسرتنا الملونةِ
وأسقف بيوتنا الواطئة
فلم يكن ثمة ما نفعله في الحياة
سوى الحياة ذاتها !!
وسوف نمتثلُ للموت
مثل نبتةٍ
وكرسالةٍ أخيرةٍ في سلة الزمنِ
لا لكي نقرأها بتمعن وعمق
وإنما لنمضغها كقطعةٍ أخيرةٍ من الأفْيون الحارّ
وسوف نختار كذلك
أن ننحاز إلى تلك المصائر المجهولةِ
والكلمات المتقاطعة
التي تتوارى بعيداً عن الخيبة والنسيان
خلف الجدران المتهالكة لكل هذا العالم
كل ذلك
ودون أن ننحاز – ولو لدقيقة واحدة –
إلى ذلك الكائن المهمل تحت عبء ضربات القدر اللعينةِ
وصرخاتنا الخشنة المالحة

إلى أن نسير في تلك الشوارع المطهمة بالجنونِ
والغفلةِ
والتي يتركُ عليها الزمن آثاره المبقعة بالدم
والرطوبةِ
وسوف نترك – هنا وعلى الأرض – القليل من الذكريات المشققةِ
والكثير من الأحلام البائدةِ
تلك الأحلام
التي ترغب بعينين جارحتينِ
وأجنحةٍ
كليلةٍ!!

نوافذ

مضىَ
لا يتذكر أي شيء
سوى أعمال الهدم والبناء التي تتم بداخلهِ
كان ثمت نافذة
وكان ثمت بيت
الآن
رحلت النافذة
ولم يتبق من البيت
سوى ذكرياته التي تقيم فوق أصابعهِ وشوارعهِ
عندما داهمته هذه الفكرة
أومأ لكافة النوافذ أن تتوافد عليهْ
وركب طائراته الورقية وأوهامَه ومضى
تاركًا للنهر أن يتأمل خيباته اللانهائية
وطوفاناته
ثمت ليال كثيرة لم يتذوق فيها طعم النوم
سوى هاتيك الأحلام التي برزت فجأة

عبر الشبابيك
والغبارْ
وها هو ذا يسندها بيديه المكبلتين
حتى لا تقع في هاويةٍ ما
من هاوياتهِ
التي أخذت ترتفع !!

عن النظر وانعدام النظر !!

إلى
عبد الوهاب البياتي

أكتب
عن النظر
وانعدام النظر !!
عن المرأة التي تجلس في حقل مجاور
لتفلِّى رأسها من الأحلام
عن الأرضْ
التي تقرفص منكسرةً فوق مقعد خشبي
لتنظر إلى السماء
المتواطئة
بطيورها الليلية
والتي تعرف أنها لن تعود منها أبدًا
عن الرجل
الذي ينام في خلفيّة رأسي
ويحلم رافعًا مؤخرته
التي تشبه حبة التين الشوكي
وفي إحدى يديه يمسك بكرةِ الزجاج الملونةِ
وبالأخرى

يمسك بقواقع الواقع الهرمةْ
والعدم
– وكلما هممت أن ... –
يضحك بملء كفيه
ويقهقه غارزًا مهاميزه البنكرياسيةَ
في قصبة صدري التي تنفغْر
ولا يدع ولو فرصةً واحدة لكافة كوابيسي الليلية أن تهدأ
أو حتى تتوقف لتلتقط أنفاسها
التي تشبه المسامير
والحجرْ
أكتب
عن الحزن الذي يمدّ خراطيمه البلاستيكيةَ
ويفتح شفتيه الجهنميتين
بينما يجلس بجانبي
وعلى نفس المقعد هازئـًا
ومطرقعـًا أصابعه الخمس
كأنما ليتأمل السماء
وهي تتفكّك
أكتب
عن السماء التي تخلع ثوبها الأنثوي
في عز الظهيرة
وتتعرّى بوحشية – ودونما خشيةٍ من أحد –
حتى لا تقع في التناقض
أو الشك
بينما يتكوم النهار خائراً مثل قنفذً
على زجاج نافذة !!
أكتب
عن الأرض
التي تنقبض وتنبسط مثل لبؤة !!

عن الصحراوات التي لا تتناهى بداخلي أبداً
عن الأمل
الذي يضحك كثيراً من اليأس
بملء إرادتهِ
وعن اليأس الذي ينتظر في كل لحظةً
على قارعة الأمل
مثل حقلٍ بكلاّباتٍ
وخفافيش !
عن الرّوث الإنساني الذي يتسعَ
ليشمل العالم الحىّ
والعالم الميت
على حدّ سواء
عن الوجود الإنساني المضمحلْ
الذي يتكرمش مثل ورقة كرنبْ
أكتب
عن الشمعدانات التي تنطفئ أسفل المائدة
بينما تسعل وتتثاءب
وهى تبحث في حقيبتها الكرتونية
عن عجلة الرياح!!
عن القمر الذي ينطفئ بيأس كامل
وهو في كامل الهيئة
عن النجمة التي تعوي في العراء
ودون أن يسمع عواءها أحد
عن الحديقة التي ترفض أن تقيم في النظر
عن النظر
وانعدام النظر
في حديقة الآلهة الجافة
وعلى بوّابات الجحيم
المتشققةِ

أكتب
عن مدرسة الذباب الأعمى
التي تئن بالأفكار المدروسةِ
وغير المدروسةِ
عن النسبية
والكوانتم
وما بعد الحداثةِ
أكتب
عن الديكتاتوريات المباشرة
وغير المباشرة للدولة العصرية
عن الديمقراطيات
المكللة بالرعب
والدمَ
عن حقيقة الحكمة في أكاديمية الخراتيت هذه
أكتب
عن البحر الذي يغتسل من الدَّرنِ
والسُّلِ
وهو يبحث لنفسه عن بحر آخر
ليقيم فيه
عن الشجرة
التي لا تعرف شيئًا عن حكمة الغناء
أو الرنين المغناطيس
وأشعة إكس
والعلاج الكيماوي
وجراحة القلب المفتوح
وسرطان الرئة
وحرب النجوم
والرأسماليةِ المتوحشةِ
والعولمةِ

واقتصاد السوق
وتفكُّك الامبراطورياتْ
وإعادة تصنيع الله
في المصانع الورقيةِ !!
أكتب
عن الوردة التي لا تعرف شيئًا عن فتنة الخلاصِ
وأحلام اليقظةِ
عن الأنا
والأنا الأعلى
وفلسفة نيتشه
والكوجيتو الديكارتيْ
ووحدة الوجود عند محيي الدين بن عربيْ
وطواسين الحلاج
ونظرية الحلول
والاتحاد
عن البراجماتية وأثرها الحاسم في لعبة التاريخ
والجغرافيا
أكتب
عن بلاغة اللغة فوق حنجرة فراشةٍ
وتعطل الضوء
على شفتيْ امرأة !!
أكتب
عن العدالة
التي نسيها الربّ
في سنترال عمومي
وذلك بعد أن أخذ كافة
المفاتيح والأقفال
وترك الأطفال
يرجمونها بالحجارة

ويطاردونها بالأحذية والمسامير
ويقذفوها بالبصلِ
والطماطم !!
أكتب
عن قوات الطوارئ الدولية
وقوات الأمن المركزي
وقوانين الطوارئ
والقوانين الاستثنائية
ومجلس الأمن
وصكوك الغفران
والعالم أحادي القطبية
عن أمريكا المتوحشة
اللبؤة
وجنرالاتها الكلابْ
وهم يعتصرون العالم بين أسنانهم الشرهة
كما يعتصرون حبات الطماطم والفاصوليا
تقربـًا
إلى كافة رؤسائهم القتلة
من ساكني البيت الأبيض
ووكالة المخابرات الأمريكية
وعملاء الـ CIA
أولئك الحفنة من الخراتيت
المخنثون
الذين يحكمون العالم من خلف ظهر الله
بلا منازعٍ
أو قوةٍ!!ً
أكتب
عن العنف
والعنف المضاد !!

أكتب
عن الثالوث المقدس
وحكمة الموت
والعشاء الأخير للمسيحِ
وحقيقة المناولةِ
عن الجسدِ
الذي تحول إلى خبزٍ
والخبز الذي تحول إلى خمر
والخمرِ التي تحولت إلى علفٍ
من عقائدَ
وأيديولوجياتْ!!
أكتب
عن القديس يوحنا المعمدان
الذي يهمل صلواته الأربع
من أجل إصلاح فردتيْ حذاء
على مذبح الربْ
بينما تركع السماء الراسخة
إلى جواره
وفى كوب مائه الذي يندلق!!
أكتب
عن أحجار الكنيسة المعلقة
والتي لا تعرف شيئًا عن السيدة مريم العذراء
ويهوذا الإسخريوطي
وبيلاطس البنطي
ومريم المجدلية
ويوسف النجار
وحكاية الثلاثين فضة هذه
والإغواء الأخير للمسيح
للسيد كازنتزاكس

أكتب
عن الهواء الذي يقف عارياً ووحيداً
– وعلى عكازٍ و أعمى –
في منطقةٍ ما
بين الشهيق والزفيرِ
ليتنفس ببطءٍ
وإنسانيةٍ
على كتفيْ امرأةٍ
تنام شبه عاشقةٍ !!
أكتب
عن الشيطان نفسه
الذي يقف في نهاية النفق المظلم للممر الإنساني
ممسكًا
ببلطته المقدسة
لكي يقطِّع الرؤوس
ويفقأ العيون
ويمزق كل تلك الأرواح الإنسانية
المتسخة
ويحيل كافة العوالم
– المرئية
واللامرئية –
إلى أشلاءٍ
وجزازاتٍ
ويلقى بها في نهاية الأمر
إلى صندوق قمامته الضخم –
والذي يعرف عادًة بالجحيمْ المنقعرْ
أنا الإنسان الغائب عن الوعى
والواعي بنصف عينْ
أكتب

عن موت العالم
والإنسان معًا !!

عن محمد آدم وهاملت!!

إلى
محسن إطيمش

أن تكون أولا تكونْ ليست هذه هي المشكلة
أن تنغرس في قلب الشر الكامل
وأنت تبحث عن الخير المحض
أن تمتلئ يدك بالظلمة
وأن يمتلك فمك حكمة الحجرْ !!
أن تجلس على حافّة السرير
أعزلَ
وبلا يقين واحدٍ
لتراقب فراشة ضاله
أن تعترف وأنت على فراش الموت
أن العالم لا شيء
وأن الوجود بلا هدف أكيد
ماذا يفعل كل أولئك القديسين الخونة
بأرديتهم الطويلة
وكلماتهم التي تشبه المخاطْ ؟!!
آه
لقد كان هذا الليل حالكـًا
ولم نجد وقتـًا كافيـًا لنركض فيه إلى النهارْ
لقد كان هذا النهار قصيراً جداً
ولا يكفى لفقمةٍ أن تبتلع ريقها
قدري قدرُ السمكةِ في الشصِّ

وروحي
حقل أشواك
وغواياتٍ
فلنقف دقيقة واحدة وتشبه الحداد
على العالم الميتِ
والعالم الحيّ على السواءْ
وأنتِ يا روحي الدبقة
لكِ السلام
لكِ السلامْ
لم يكن يعرف أن الرّب يتربص بهْ
فسار وحيدًا في الظلمةِ
ومفتشـًا
عن لغة الربّ الواضحةِ
السهلةِ !!
أيقن أن كل عشبة إنما هي لغة بعينها
– وتختلف من عشبة إلى عشبة –
ولكن كيف له أن يعرف
كيف له أن يتكلم مع العشبِ والحجرْ
في آنٍ واحد
كيف له أن يعقد صداقةً غاوية مع البحر والملح
بصورة كافيةٍ
كيف له أن يجلس مع الضوء
على أريكةٍ واحدة
وليقذفا الليل بحصى الوحدة
وليقولا له

إلى الجحيم أيها الليل
لتأكل قلبك الظلمة !!
كيف له وهو العائش في الشك دائماً
أن يخترع لغة تفصح عن شكل الوردةِ
كيف له
أن يعرف سر الكلمةْ
الكلمة التي تُنطق
أو لا تنطِق
وفي كل يومٍ يخرج باحثًا عن الرّب
– في الشتاء مثلما في الصيف
في النهار مثلما في الليل –
لمَ لا يكون الرب نفسه مختبئًا خلف هذه السحابة
أو وراء تلك الصخرة
لمَ لا يكون في جوف هذا البحر
أو هناك
في قلب تلك الظلمةِ
لمَ لا تكون كل هذه السماوات الشاسعةِ
ترابًا لرجليه الذهبيتينِ
ولمَ لا يكون كل هذا القمر الزاهي
أرجوحًة لنعليه
الكريمتينِ
كم من السنوات يتعين عليّ أن أقطعها
حتى أصل إلى بوابتهِ الضخمةِ
ذات الأقفال الهائلةِ
والرتاجات ؟!!

أقدامي كلّت من السير
نفسي تعبت من الشك
تفتتت عظام روحي
وأنا أبحث عنك في السكك
لا لم يكن الرّب بكل هذه القسوةِ في يومْ
لا
ولم تكن ملائكته الرّنانةُ
بكل هذه الغلظة أو القسوة ؟!
من الذي اخترعَ الضوء وجعله يسيرُ كالقططْ
قولي لي يا روحي الجريحة
كيف تكوّن النور في اليوم الأول للعالمِ
ومن الذي اخترع الكلام في اللغةِ
واللغة في الحرف ..
حقـًا !!
حقـًا
من الذي اخترع الفكرة
الفكرة الحسنة
والفكرة السيئة على السواء !!
سنواتي التي أضعتها كأحد الكلاب الجريحةِ
باحثـًا عن الرب لم تسفر عن أي شيءْ
ولا حتى عن أمل كاذبٍ
في الخلاص نفسه
أو حتى نعمة النسيان
الخالص
محظوظون أنتم يا كل أولئك الكلاب الذين يعيشون

بلا أفكارٍ
أو حتى كلمات كالمحاريث !!
الكلمات
حيواناتٌ شرسة
والأفكار
سماوات بأنيابٍ وخطاطيفْ
أنا ملطخ بالعار
مثلما أنا ملطخُ ُ بالفجيعةِ
أعرف أنّ حياتي
مثل عربةٍ معطوبةٍ
ومحملة بالأوساخ
وبلا كرّاكاتْ تعمل أو طواحينَ ترنّ
مزيّت
وبشوارعَ محشوةٍ
بالخيانات
والحصى !!
كثيرًا ما راودتني مثل هذه الأفكارْ
أن أعيد ترتيب السماوات مثلما أودّ
أن أفرش كل هذه النجوم الزاهيةِ
تحت قدميّ
وأنا أسير في السكك
أن أتمشى تحت ظهيرةٍ واطئةٍ
ولا يشغلني الموت في شيء
وليس في فمي سوى أغنية جافةٍ
وبضع كلمات تقيني عبء الليل كله

كثيراً
ما انسحيتُ من الليل في الليل
لكي أطارد الأحلام الضالة
والكوابيس المؤجلةَ التي تتربص بيْ
– في كل شهيق
أو زفير –
روحي التي تفحّمت من السؤالِ الشكّ
كثيراً
ما كنت أشبكها في حبل غسيلٍ
وتحت حوائط العزلةِ
والضغينةِ المسننةِ هذه
أتركها لتجف
– على بوّابة مستنقعٍ –
وأمام عربة الزمن المعطوبة هذه أجلس
مثل ملكٍ
بخساراتٍ
وبلا تيجانٍ
أيها الزمنُ الحطّاب ذو الأيد !!
دع يدك التي تعمل وبلا رحمةٍ واحدة
واجلس على صخرةِ اليأس
المبجلة هذه
مثل حشرةٍ قارضةٍ
وتحت سماء بسكاكين قويةٍ
وكلّاباتٍ
واترك لروحك المصنوعة من صلصالٍ كالفخّار

أن تنام على ساحل الأبدِ

وبلا تواطؤٍ

أنا شجرة النسيانِ العالقةُ في اللاشيء

الشمس

ليست بهذه الفكرةِ

أو تلك دائمـًا

البحر على مسيرةِ يوم واحدٍ من الأبديةِ

والسماء

أرجوحةُ الزمن

الواطئة

على جدران القلاع القويةِ دائمـًا

ما يكتب الطغاة أخطاءهم

بينما

يزينون الجسور التي يعبرون عليها

بملايين العظام الجافة

والأرواح التي تتطلعُ إلى العدالةِ

على شجرة اليأسِ

الصلبةِ

ثمة صلواتٌ للنهارْ

بدموعِ من حصى !!